بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٨٩)

عظيم الفوت بنزول الموت

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

معاشر المسلمين :.

لقد جرت سنة الله في خلقه أنه كتب الموت عليهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم غنيهم وفقيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم، بل فلا يسلم من الموت أحد ولا يستثنى منه كائن دب على وجه هذه البسيطة يقول الله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥]

وقال سبحانه وتعالى﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولا.

وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفَرَغَت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية -أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾ ا.هـ [(١)]

(١) .عند تفسير [سورة آل عمران :آية رقم ١٨٥]

بل ولا يستطيع أن يهرب منه أحد ولو هرب منه كل مهرب قال جل وعلا ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء:٧٨]

قال ابن كثير رحمه الله: أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد منكم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧]

وقال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾[آل عمران:١٨٥]وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ ﴾ [الأنبياء:٣٤]

والمقصود: أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، وسواء عليه جاهد أو لم يجاهد، فإن له أجلا محتوما، وأمدا مقسوما، كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفا، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء .

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾[النساء:٧٨]أي: حصينة منيعة عالية رفيعة... أي: لا يغني حذر وتحصن من الموت.ا.هـ[1]

وقال سبحانه عن المنافقين الفارين عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتخاذلين عنه حذر الموت أو القتل ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحزاب:١٦]

(١) .عند تفسير [سورة النساء: الآيات ٧٧ الى ٧٩]

وقال عنهم ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤]

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: يعني بذلك جل ثناؤه: قل، يا محمد، للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين: لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، فيظهرَ للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شككم في دينكم ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ يقول: لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه، من قد كتب عليه القتل منهم، ولخرج من بيته إليه حتى يصرع في الموضع الذي كُتب عليه أن يصرع فيه.ا.هـ[1]

وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]

(١) .عند تفسير [سورة آل عمران :آية رقم ١٥٤]

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: وجاءت -أيها الإنسان-سكرة الموت بالحق، أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص.ا.هـ[١]

وقال سبحانه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت:٥٧]

قال ابن كثير رحمه الله: أي: أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم، فإن الموت لا بد منه، ولا محيد عنه، ثم إلى الله المرجع والمآب، فَمَنْ كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه أتمَّ الثواب؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت:٥٨]

أي: لنسكننهم منازل عاليةً في الجنة تجري من تحتها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، {خَالِدِينَ فِيهَا} أي: ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾: نعمت هذه الغرفُ أجرًا على أعمال المؤمنين .ا.هـ[٢]

وقال سبحانه ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣]

---

(١) .عند تفسير [سورة آل عمران :آية رقم ١٨٥]

(٢) .عند تفسير [سورة العنكبوت:آية رقم ٥٧]

قال ابن كثير رحمه الله : وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم -أي استثقلوها - وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارًا من الموت إلى البرية، فنزلوا واديًا أفيح، فملأوا ما بين عدوتيه فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد.ا.هـ(١)

فيا سبحان الله ما سلم من الموت أولئك القوم وقد هربوا من أرض الوباء والمرض وأَنَّى لهم الفرار والهرب وقد كُتب عليهم فلا يغني حذر من قدر .

قال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران:١٤٥]

وقال سبحانه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤]

بل ما سلم منه أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام حتى أفضلهم وأحبهم إليه سبحانه وتعالى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذاق كأس الموت وتجرع غصصه قال الله تعالى له ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر:٣١]

وقال جل وعلا ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥]

(١) .عند تفسير [سورة البقرة :آية رقم ٢٤٣]

وقال سبحانه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران:١٤٥]

ولذلك كان موته أعظم مصيبة يتعزى بها المسلم عن مصيبته بموت من سواه قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما أخرجه ابن ماجة رَحِمَهُٱللَّهُ عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت :فتح رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بَاباً بينه وبين الناس أو كشف سترا فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم فقال "يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي" صححه الألباني رحمه الله(١)

فموت نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أعظم مصيبة على أمته ولذلك من أُصيب بموت قريب له فليتعزى بموت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

والموت معاشر المسلمين مصيبة عظيمة،بل والله هو من أعظم المصائب كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق وكما قال الله تعالى ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ﴾ [المائدة:١٠٦]

(١) .صحيح أخرجه ابن ماجة برقم [١٥٩٩]السلسلة الصحيحة برقم [١١٠٦]

كيف لا وهو يقطع العبد عن العمل للآخرة وعن التزود لها والتقرب إلى ربه سبحانه وتعالى فو الله لهو بذلك أعظم المصائب فمن سيصلي له بعد موته ومن سيصوم عنه ومن سيقرأ القرآن بعد موته فقد انقطع عمله بموته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "رواه مسلم(١)

وقال الله جل وعلا ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩]

واليقين الموت ،فأي مصيبة أعظم مما يقطعك عن الله والتقرب إليه والتزود للدار الآخرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مر على قبر دفن حديثا "فقال: " ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا - يشير إلى قبر - في عمله أحب إليه من بقية دنياكم " رواه الطبراني وحسنه الألباني رحمه الله (٢)

فكم فات ذلك المقبور من الخير والفضل عن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتكبيره و تحميده و تسبيحه و تهليله" رواه أحمد وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(٣)

(١) .برقم [١٦٣٢]عند « باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته»

(٢) .صحيح. السلسلة الصحيحة برقم [١٣٨٨]

(٣) .صحيح .أحمد برقم [١٤٠١]السلسلة برقم [٦٥٤]

فكم والله حُرم الميت من الخير والأعمال الصالحة بسبب موته فكيف لايكون الموت عليه مصيبة.

واعلموا حفظكوا الله أن الموت وقعه شديد ونزوله عظيم وآلامه فظيعة عظيمة فإن له سكرات وكربات قال الله سبحانه ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق:١٩]

قال الإمام الطبري رحمه الله: وَهِيَ شِدَّتُهُ وَغَلَبَتْهُ عَلَى فَهْمِ الإِنْسَانِ. ا.هـ(١)

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يتوفانا وهو راض عنا .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ،وأشهد ألا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أما بعد.

عباد الله :.

قال الله تعالى واصفا حال المحتضر وشدة ما يلقى من الأهوال والآلام والكربات والشدائد ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾ [القيامة:٣٠]

(١) .عند تفسير سورة [ق آية رقم: ١٩]

أخرج ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة:٢٩]

يقول : آخر يوم من ايام الدنيا ، واول يوم من ايام الاخرة ، فتلتقي الشدة لشدة الا من رحم الله .ا.هـ(١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال عكرمة: الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء وَقَالَ الضَّحَّاكُ: اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ: النَّاسُ يُجَهِّزُونَ جَسَدَهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُجَهِّزُونَ رُوحَهُ.ا.هـ(٢)

وأي بلاء أعظم ممن يودع دنياه ويستقبل آخرته ولا يعلم ما كتب له فيها ولا أين مستقره بعد تلك الحفرة التي هونازل فيها فإن القبر أول منازل الآخرة كما ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عند أحمد من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٣)، فلا يدري أَيَصعد بروحه إلى الله ملائكة الرحمة أم يهوون بها إلى الأرض السفلى والعياذ بالله ، ثم هو مع ذلك يعاني السكرات وشدة الآلام حتى أنه من عِظم وشدة الألم عجز عن الصراخ والصياح ولا حول ولا قوة إلا بالله فبالله أي بلاء وشدة أعظم من ذاك اللّٰهم ارحمنا برحمتك .

(١) .عند تفسير سورة [القيامة:٢٩]

(٢) .عند تفسير سورة [القيامة:٢٩]

(٣) .حسن .أحمد برقم [٤٥٤] صحيح الجامع [١٦٨٤]

ولم يسلم من سكراته وشدته حتى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء, فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يديه فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده. أخرجه البخاري(١)

وعنها رضي الله عنها قالت: لا أغبط أحدا بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرجه الترمذي.وصححه الألباني رحمه الله(٢)

وعنها أيضاً قالت: مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – أخرجه البخاري.(٣)

فهذا نبيك صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يعاني مايعاني من شدة الموت وسكرته وهو من هو ،خليل الرحمن ومن ليس لغيره تفتح باب الجنان ومع ذلك يعاني ذلك كله ، فكيف حالنا وحالكم حين نزوله ونحن فيمانحن فيه من التقصير والإساءة نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) .باب مرض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ووفاته برقم [٤١٨٤]

(٢) .مختصر الشمائل باب ماجاء في وفاة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ[٣٢٥]

(٣) . باب مرض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ووفاته برقم [٤١٨١]

قال القرطبي رحمه الله: اعلم : أن الموت هو الخطب الأفظع ، و الأمر الأشنع و الكأس التي طعمها أكره و أبشع ، و أنه الحارث الأهذم للذات و الأقطع للراحات ، و الأجلب للكريهات ، فإن أمراً يقطع أوصالك ، و يفرق أعضاءك ، و يهدم أركانك ، لهو الأمر العظيم ، و الخطب الجسيم ، و إن يومه لهو اليوم العظيم .ا. هـ(١)

فلنحمدالله إخواني في الله أننا مازلنا في هذه الدنيا لم تنصرم آجالنا ولم تنقطع أعمالنا ولم تنخرم أعمارنا فلنتزود لما سيأتي فالموت كأس ولابد لكل حي أن يشربه فإنه والله لا يفرمنه العبد لا بقوة ولا بمال ولا يقبل رشوة في الإمهال ولا التأخير قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩ ﴾ [يونس:٤٩]

قال الإمام الطبري رحمه الله: لِكُلِّ قَوْمٍ مِيقَاتٌ لِانْقِضَاءِ مُدَّتِهِمْ وَأَجَلِهِمْ ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَلِهِمْ وَفَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ ، لاَ يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً فَيُمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ ، وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ قَبْلَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ لاَ يَتَقَدَّمَ ذَلِكَ قَبْلَ الْحِينِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.ا.هـ(٢)

فلا يُقَدِّم الأجل شيء ولا يؤخره أمر بل هو أجل محدود ووقت معلوم قد كُتِبَ والعبد في بطن أمه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم

(١) . «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص١٦٥)

(٢) .عند تفسير سورة[يونس:٤٩]

يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد"متفق عليه[١]

فالموت لايُبقي صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبره ولا ملكا لملكه ولا عظيما لعظمته بل {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} والموت عباد الله لا يحتاج إلى إذن واستأذان بل لايرده حُجَّاب ولا يمنعه بَوَّاب .

عباد الله :.

كلنا سنموت وكلنا سنفارق هذه الدنيا ونرحل عنها اليوم أو غد أو بعده، فكما أن ملك الموت تخطانا إلى غيرنا سيأتي اليوم وعزة ربي الذي يتخطى غيرنا إلينا فالدنيا رحى دائرة فمن لم تدركه المنية اليوم أدركته غدا ولا بد فمن عاش ألفا وألفين فلابد من يوم يصير فيه إلى القبر.

فالموت نازل نازل ولا شك ولكن ليس العبرة بالموت وإنما العبرة على أي حال نموت ،هذا هو الأمر الأجل والخطب الأعظم ،على أي حالة سنلقى الله.

إخواني في الله أسألكم بالله هل الواحد منا مستعد أن يموت الآن ،وهل هو راض عن نفسه أن يلقى الله بأعماله اليوم أم أن كل واحد يريد أن يعمر ويعمر حتى يُصلح فيما بينه وبين ربه سبحانه وتعالى .

عباد الله :. إن الموت إذا نزل لا يؤخر صاحبه ولا ينظره والواحد منا لا يدري متى يفجؤه الموت لأنه ليس له زمن محدود ولا أجل معلوم عندنا حتى نتجهز ونعمل

(١) . البخاري في :بدأالوحي برقم [٣٢٠٨]ومسلم في القدر، باب: كيفية خلق الآدمي رقم[٢٦٤٣]

ونستعد وإنما يأتي فجأة وبغتة فإلى متى التسويف وإلى متى التأخير بالتوبة والأوبة والرجوع إلى الله والواحد منا لايدري متى يرحل إلى الله.

فياليت شعري هل نحن ممن قال الله فيهم ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل:٣٢]

أم نحن ممن قال جل وعلا عنهم والعياذ بالله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنفال:٥١]

وهل نحن من هؤلاء الذين قال الله عنهم ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ [الواقعة:٩١]

أم من الصنف الآخر الذين قال الله عنهم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الواقعة:٩٥]

وهل نحن من يُقال لهم عند موتهم ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر:٣٠]

أم ممن يقال فيه والعياذ بالله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام:٩٣]

ويا ليت شعري هل نحن من يقول عند الموت ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

فيا معاشر المسلمين إنما الدنيا مزرعة الآخرة وإنما نحن ضيوف فيها ولا شك أن الضيف مرتحل عن موطن ضيافته فلنرتحل بعمل نُسر به بين يدي الله ولنعمل لدار لا يفنى نعيمها ولا يتبدل حالها ولا يزول ملكها دار قال الله عن أهلها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨]

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم الهدى والتقى والعفاف والغنى وأن يرزقنا وإياكم عملا صالحا متقبلا وأن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته ، اللّٰهم ارحم موتانا وموتى المسلمين اللّٰهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم ووسع مدخلهم وأَقِل عثراتهم وتقبل حسناتهم ووسع مدخلهم وآنس وحشتهم وارحم غربتهم وأبدلهم دارا خيرا من دارهم وزوجا خيرا من زوجهم وأهلا خيرا من أهلهم اللّٰهم وارحمنا إذا صرنا إلى ماصاروا إليه اللّٰهم أحسن خاتمتنا وتقبل أعمالنا إنك جود كريم

وأوصي أهل الميت رحمه الله أن يكثروا له بالدعاء ويخلصوا في ذلك فهذا مما ينتفع به الميت بعد موته وتجنبوا النوح عليه والصياح والعويل فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول" الميت يعذب في قبره بما نيح عليه" وفي رواية ما نيح عليه متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١)] ولا بأس بالبكاء لكن من دون ندب وشق جيب وتقطيع ثوب وتسخط على قدر الله عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن رسول الله

(١) .البخاري باب مايكره من النياحة رقم [١٢٣٠]ومسلم باب الميت يعذب ببكاء أهله[٩٢٧]

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال (**أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**)متفق عليه [(١)]

. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كتبه أبو أسامة محمد بن قاسم بن حسن المجيدي أحسن الله خاتمته ووالديه آمين.

(١) .البخاري باب البكاء عند المريض [١٢٤٢]ومسلم الجنائز، باب: البكاء على الميت[٩٢٤]